تفسير الجلالين

بهامش القرآن الكريم

حققه الأستاذ الدكتور
فخر الدين قباوة

ومعه

معاني كلمات القرآن
وأسباب النزول

بعناية
أ. ماهر أديب حبوش

دار اللباب

تفسير الجلالين

بهامش القرآن الكريم

الطَّبعَةُ الثَّالِثَة

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

9 789933 937683

دار اللُّبَاب

للدِّراسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَقْدِيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الأمين، وبعد:

فإنَّ تفسيرَ الجلالينِ يُعَدُّ مِن أهمِّ كتبِ التُّراثِ التي حَظِيَت بالقَبولِ والانتشارِ في مُختلَفِ أَصْقاعِ العالمِ الإسلاميِّ مِن شرقِهِ إلى غربِه، حتَّى إنَّه لم يَخْلُ منه مسجدٌ مِن مساجدِ المسلمينَ بل وأكثرِ بيوتِهم، وذاك لِمَا تحلَّى به مِن صفاتٍ لم يَحوِها كتابٌ قبلَه ولا بعدَه، مِن قُربِ التَّناوُلِ وخِفَّةِ المَحمَلِ مع وضوحِ المعاني واتِّساعِها، وسُهولةِ الألفاظِ وقُربِها، حتَّى قيل: إنَّه لو رامَ شخصٌ مُلْكَ كلِّ أدواتِ العلمِ والعقلِ والفكرِ أن يَختصِرَ ما أنتجَه العُلَماءُ مِن تفاسيرَ مِن أوَّلِها إلى آخرِها وينتخبَ أصحَّها وأقربَها لَمَا خرجَ معه سوى هذا التَّفسيرِ.

وبسببِ هذا الانتشارِ والقَبولِ فقد كثُرَ عليه التَّعليقُ والتَّعقُّبُ والاستدراكُ، وصدَرَ عن ذلك حواشٍ وشروحٌ كثيرةٌ، هذا مع حَوَته طبعاتُه الكثيرةُ مِن نُقودٍ وتَوجيهاتٍ، فكثُرَ لذلك الاضطرابُ، وعاد الأمرُ إلى التَّطويلِ الذي منه فرَّ الجَلالانِ، فكان لا بُدَّ مِن الرُّجوعِ إلى المنهلِ الصَّافي، واعتمادِ الأصلِ ونَبْذِ الزِّيادةِ، فظهرَ الاحتياجُ إلى طبعةٍ جديدةٍ وتحقيقٍ مُتقَنٍ يقتصِرُ على الكتابِ الأصليِّ، لكنَّه في الوقتِ نفسِه يُغني بحُسنِ الصَّنعةِ والإتقانِ عن تلك الشُّروحِ والتَّعليقاتِ، وهذه مُهِمَّةٌ صعبةٌ جدًّا لا يقومُ بها إلَّا مَن أعطاهُ اللهُ الأدواتِ لذلك، وقليلٌ ما هُم.

ومِن هنا فقد انبرى لهذه المُهِمَّةُ رجلٌ مباركٌ هو الأستاذُ الدُّكتورُ فخرُ الدِّينِ قَباوة حفظه الله تعالى الذي لا تكفي هذه العُجالةُ لوَصفِه، قد أفنى سِنِي عُمرِه الطَّويلِ في الدِّراسةِ والتَّدريسِ والتَّحقيقِ والتَّحريرِ، وله مع هذا الكتابِ رحلةٌ طويلةٌ تنوفُ على أربعينَ عاماً قضاها في دراستِه وتصحيحِه وتحقيقِه، وقد تهيَّأَتْ له الأدواتُ لصُنعِ تحقيقٍ مميَّزٍ حازَ به قَصَبَ السَّبقِ على كلِّ مَن تقدَّمَه، فأوَّلاً وقبلَ كلِّ شيءٍ ما تحلَّى به هذا العَلَمُ مِن العلمِ الغزيرِ والفكرِ الثَّاقبِ والعقلِ النَّيِّرِ والرِّحلةِ الطَّويلةِ مع كتابِ اللهِ التي قاربَت الثَّمانينَ عاماً، ثمَّ تأمينُ النُّسَخِ الخطِّيَّةِ النَّفيسةِ، ثمَّ كان لا بُدَّ بعد هذا مِن الوقوفِ على المراجعِ التي اعتمدَ عليها الجَلالانِ في نَسجِ هذا السِّفرِ المباركِ، فيسَّرَ اللهُ للمُحقِّقِ الوقوفَ على نصٍّ للسُّيوطيِّ بيَّنَ فيه مصادرَ الجلالينِ في تفسيرِهما، وهي: تفسيرُ الكَواشيِّ والواحديِّ والبَيْضاويِّ وابنِ كثيرٍ، ثم تبدَّى له أن هناك دائرةً أخرى أوسعَ لهذا العملِ تتمثَّلُ بمراجعَ مِن أهمِّ وأغنى كتُبِ التَّفسيرِ، وهي كتُبُ الزَّجَّاجِ وتلميذِه النَّحَّاسِ والبَغَويِّ والزَّمخشريِّ وأبي حيَّانَ والسَّمِينِ الحَلَبيِّ.

فكان بعد هذه الجُهودِ المُباركةِ أن خرَجَ إلى النُّورِ هذا التحقيقُ المُتميِّزُ مِن كلِّ الوُجوهِ، ولا شكَّ أنَّ مَن يُطالِعُ الكتابَ بها ويَسبِرُ أغوارَه سيجِدُ أنَّ خلفَ كلِّ حركَةٍ أو فاصِلةٍ قصَّةَ بحثٍ طويلةً في المصادرِ ليكونَ كلُّ شيءٍ في مكانِه الصَّحيحِ، ما يُغني عن الشَّرحِ والتَّعليقِ.

ومِن هنا فإنَّ دارَ اللُّبابِ التي أخذَتْ على نفسِها عهداً بطباعةِ كلِّ ما هو جديدٌ أو متميِّزٌ قد اعتمدَتْ طِباعةَ هذا التَّحقيقِ وتقديمَه حتى تَعُمَّ الفائدةُ، فقامت أوَّلاً بإخراجِه مع أحدِ أهمِّ حواشيهِ وشُروحِه، وهي حاشيةُ المُلَّا علي القاري المسمَّاةُ: «الجمالَيْن للجلالَيْن»، وكانت لَمَّا تُبصرِ النُّورَ بعدُ، وقد لَقِيَت هذه الطَّبعةُ الكثيرَ مِن القَبولِ لدى النَّاسِ، وكان إقبالُ طلَبةِ العلمِ وغيرِهم عليها عظيماً.

ثمَّ اتَّجه التَّفكيرُ إلى طريقةٍ أخرى لتحصيلِ الفائدةِ مِن هذا السِّفرِ الجليلِ المميَّزِ تأليفاً وتحقيقاً، وذلك بطباعتِه مع إضافاتٍ تزيدُ الكتابَ بهاءً على بهاءٍ، وحُسْناً على حُسْنٍ، ولتحصيلِ أعظمِ الفوائدِ لمطالعِه وقارئِه، لكن مع الأخذِ بعينِ الاعتبارِ الغرضَ الأصليَّ لتأليفِه، وهو الإيجازُ المبنيُّ على حُسنِ الاختيارِ ونَبْذِ الحَشوِ والتَّطويلِ، وكانت هذه الإضافاتُ على النَّحوِ التَّالي:

أولاً: قُمنا بتخريجِ كلِّ ما وردَ في «الجلالين» مِن الأحاديثِ والآثارِ عن النَّبيِّ ﷺ والصَّحابةِ وتابعيهِم، مع ذكرِ حُكمٍ أو إشارةٍ إليه أو تعقُّبٍ أو شرحٍ إن اقتضَتِ الضَّرورةُ ذلك، كلُّ ذلك على منهجِ الكتابِ مِن الإيجازِ والاختصارِ.

ثانياً: قُمنا تتميماً للفائدةِ بإلحاقِ كتابِ «معاني مفرداتِ القرآنِ» للشَّيخِ محمَّد حسنين مَخْلوف أحدِ كبارِ عُلَماءِ الأزهرِ رحمه الله تعالى، وفيه استدراكٌ لِمَا وقعَ في الجلالينِ مِن تركٍ لتفسيرِ جُملةٍ مِن المفرداتِ القُرآنيَّةِ، وأفدنا في مواضعَ كثيرةٍ من حاشيةِ العلَّامةِ الملَّا علي القاري المسمّاة: «الجمالَين للجلالَين» ووضعنا في نهايةِ الفائدةِ المنقولةِ منها كلمةَ (الجمالين).

ثالثاً: قمنا بذكرِ أسبابِ نُزولِ الآياتِ مِن أوَّلِ القُرآنِ إلى آخرِه، وذلك بالاعتمادِ أوَّلاً على الكتُبِ التي اختصَّت بذلك وهي: «أسبابُ النُّزول» للواحديِّ، و«العُجَاب في ذكرِ الأسباب» لابنِ حَجَرٍ، و«لُبابُ النُّقول» للسُّيوطيِّ، ولم نجِد حاجةً للعودةِ إلى الكتُبِ المُتأخِّرةِ لأنَّها إنَّما أَخَذَتْ مادَّتها مِن هذه الكتُبِ الثَّلاثةِ.

ثمَّ تقصَّينا أيضاً بحسبِ الوُسعِ والطَّاقةِ ما حوَتْه بعضُ التَّفاسيرِ مِن أسبابٍ لم تُذكَر في الكتُبِ السَّابقةِ، ومِن أهمِّ هذه التَّفاسيرِ: «التَّيسير في التَّفسير» لأبي نصرٍ عبدِ الرَّحيمِ بنِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هَوازِنَ القُشَيريِّ المُتوفَّى سنةَ (٥١٤هـ)، و«لُباب التَّفاسير» لأبي القاسمِ مَحمودِ بنِ حمزةَ الكَرْمانيِّ، المتوفَّى بعد سنةِ (٥٠٠هـ)،

و«التَّيسير في التَّفسير» لأبي حفصٍ النَّسَفيِّ تـ(٥٣٧هـ). وهذه الثَّلاثةُ ممَّا انفردَتْ دارُ اللُّبابِ بطباعتِها كاملةً مُحقَّقةً لأولِ مرة، وهي مِن أغنى كتبِ التَّفسيرِ بذكرِ أسبابِ النُّزولِ، وإن كان أكثرُه نقلاً عمَّن سبقَهم كالثَّعلبيِّ والواحديِّ. ويضافُ إليها «الكشف والبيان» للثَّعلبيِّ وهو مِن أهمِّ المراجعِ في هذا البابِ، والذي نهَلَ منه أكثرُ مَن جاءَ بعدَه مِن المُفسِّرينَ، لكن أكثرَ ما ذكرَه قد أخذَه عنه تلميذُه الواحديُّ وأودَعَه في كتابِه.

ثمَّ إنَّ عَمَلَنا في ذكرِ أسبابِ النُّزولِ لم يكن مجرَّدَ جمعٍ أو قصٍّ ولصقٍ كما يفعلُه الكثيرُ، بل كان على بصيرةٍ وتمحيصٍ، ومِن ذلك:

١ ـ مُلاحظةُ عدمِ التَّكرارِ، فقد تقومُ كتبُ الأسبابِ بحشدِ ما وردَ مِن أخبارٍ في نُزولِ الآيةِ مع أنَّ القصَّةَ واحدةٌ والأخبارَ في ذلك مُتشابِهةٌ، فإنَّنا عند ذلك نَنْتقي خبَراً هو أقواها وأوضَحُها، ثمَّ نُنبِّهُ على مَن رُوِيَ عنه مثلُه مِن السَّلَفِ.

٢ ـ تجنَّبْنا ذكرَ ما ليس مِن أسبابِ النُّزولِ وإن ذُكِرَ على أنَّه منها عند الكثيرينَ، كذكرِ سبَبِ سُؤالِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ ربَّهَ أن يُرِيَهُ إحياءَ الموتى، ذكرَه الواحديُّ وغيرُه وأطالوا، وأنَّى يكونُ مثلُ هذا سبباً للنُّزولِ لِمَن تأمَّلَ وتفكَّرَ؟

وكذكرِ ما يكونُ تفسيراً للآيةِ على أنَّه سببٌ لنُزولِها، وفي هذا ما فيه؛ إذ كيف يكونُ التَّفسيرُ اللَّاحقُ للآيةِ سبباً لنزولِها الثَّابتِ بديهةً أنَّه سابقٌ لها؟ ثمَّ إن اضطُرِرْنا لذكرِ نحوِ هذا لإطباقِ كثيرٍ مِن المفسِّرينَ وغيرِهم عليه ممَّا لا يُمكِنُنا تجاهلُه فإنَّنا نُنبِّهُ عليه، كقولِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها في قولِه تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]: أُنزِلَت في قولِ الرَّجُلِ: لا واللهِ وبَلَى واللهِ. رواه البُخاريُّ، والظَّاهرُ أنَّه تفسيرٌ لا سبَبُ نُزولٍ، بدليلِ ما في بعضِ الرِّواياتِ: «هو قولُ الرَّجُلِ...» وقد نبَّهْنا عليه في مكانِه. ويُنظَرُ كذلك ما جاءَ عند قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦].

٣ ـ كما راعَيْنا التَّنبيهَ على حُكمِ الأخبارِ المرفوعةِ او الموقوفةِ تصريحاً أو تلميحاً، بأن نذكُرَ مثلاً الرَّاويَ عن ابنِ عبَّاسٍ، فإن كانتِ الرِّوايةُ عن عطاءٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، أو مِن طريقِ الكَلْبيِّ أو جُوَيبرٍ عنه، فكلُّها واهيةٌ ساقطةٌ، وإن كانت مِن طريقِ عطيَّةَ العَوفيِّ فضعيفةٌ جِدًّا، ومِن طريقِ عليِّ بنِ أبي طلحةَ فمُنقطِعةٌ لكنَّها مُحسَّنةٌ عند بعضِ العُلَماءِ، وهكذا.

٤ ـ تخريجُ الخبَرِ مِن كتُبِ السُّنَّةِ الأهمِّ فالأهمِّ، مع الاعتمادِ في ذكرِ اللفظِ على تلك المصادرِ، فمثلاً إن كان السَّببُ في كتبِ السُّنَّةِ المعتمدةِ كالكتُبِ السِّتَّةِ والمُسنَدِ وصحيحِ ابنِ حِبَّانَ فأنقلُه مِن لفظِها لا مِن كتُبِ

المُتأخِّرينَ كـ«لُباب النُّقول» كما فعلَ بعضُ المُعاصِرينَ ممَّن صنَّفَ في أسبابِ النُّزولِ، لأنَّ هذه المَصادرَ قد يتصرَّفُ مُصنِّفوها في لفظِ الحديثِ اختصاراً أو جمعاً بين الرِّواياتِ، ونحن في غِنًى عن هذا التَّصرُّفِ ما دام اللفظُ الأصليُّ موجوداً في مصادرِه سهلَ التَّناوُلِ.

٥ ـ تقديمُ الرِّواياتِ الصَّحيحةِ على غيرِها إن كانت ظاهرةً في السَّببِ، وإلا فالألصقُ بالنُّزولِ، مع طرحِ الرِّواياتِ التي لا تَنسجِمُ مع تنزيهِ النَّبيِّ ﷺ واحترامِ أصحابِه الكرامِ وتَبجيلِهم. أمَّا ما يتعلَّقُ بالرِّواياتِ الضَّعيفةِ لسببٍ مِن الأسبابِ فهذا ما لا يُمكِنُ حذفُه لأنَّ أسبابَ النُّزولِ أكثرُها مِن هذا البابِ.

رابعاً: قُمنا بإدراجِ مُصحَفِ المدينةِ المنوَّرةِ الشَّريفِ الذي خطَّهُ الأستاذُ عُثمان طه حفظَه اللهُ تعالى.

فهذا مُجمَلُ ما مَنَّ اللهُ بهِ علينا مِن خدمةِ هذا السِّفرِ المُباركِ وتَهيئَتِه ليكونَ مُستوفِياً لجميعِ نواحي الفائدةِ، مُستقصِياً لأبوابِها، وكلُّ هذه الأمورِ لم تكن لِتُثمِرَ لولا جهودُ دارِ اللُّبابِ مُتمثِّلةً بمُديرِها وصاحبِها الأستاذِ محمَّد خَلُّوف العبدَ الله الذي لم يَدَّخِر جُهداً في توفيرِ أسبابِ النَّجاحِ لهذا العمَلِ المبارَكِ.

والشُّكرُ موصولٌ لكلِّ مَن ساهمَ فيه، ومنهم الأستاذُ خالد عُلوان والأستاذُ فادي السَّيِّد اللَّذانِ تكفَّلا بمُراقبةِ مراحلِ التَّصحيحِ والإخراجِ الفنِّيِّ وغيرِ ذلك ممَّا يحتاجُه هذا العملُ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

كتبه

ماهر أديب حبّوش

***